130624

آداب الصحبة

للإمام العربي

أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي

بن أحمد بن محمد الشعراني

٨٩٨ - ٩٧٣ هـ

تحقيق

عباس يوسف سايمي

جميع الحقوق محفوظة للمحقق

موافقة الإعلام رقم: ٧٤٠٧٠

تاريخ: ٢٥/ ٢/ ٢٠٠٣

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم، واقتفى أثرهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعد:

فإن من النعم الإلهية والعطايا الربانية التي أكرم الله تعالى بها هذه الأمة المحمدية أن ألف بين قلوبهم، وجعلهم إخواناً على اختلاف ألوانهم وأنسابهم وأمكنتهم، كما قال ﷺ: «المسلم أخو المسلم».

وقال أيضاً ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

ولكن الذي عليه أغلب المسلمين اليوم من تباعد وتباغض، وتنافر! وما ذاك إلا لعدم فهمهم آداب هذا الدين، وبعدهم عن تعاليمه.

فلَكَم حبب ديننا الحنيف في الصحبة والمودة، ولَكَم أعدَّ الله لأولئك المتحابين في الله من الأجر والثواب.

وإن لهذه المحبة وذاك الإخاء آداب وحقوق يجب على كل مكلف أن يعرفها.

فها نحن نضع بين يديك أخي القارئ هذا الكتاب ــ للشيخ العارف بالله سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله ورضي عنه ــ الذي كان دفيناً بين دفتيه، إلى أن أخرجناه بهذه الحلَّة، ووثقناه، واعتنينا به بما أمدنا الله به من علم، لكي يسهل فهمه، ويقوى بدليله وحججه، ويرفع من همم المقصرين بما فيه من مواعظ وقصص عن أولئك الأكارم رضي الله عنهم أجمعين.

فالله أسأل، وبنبيه ﷺ أتوسل أن يجعل عملنا في هذا الكتاب متقبَّلاً ونافعاً، ويجزي عني خير الجزاء والدي الكريمين وشيخي الفاضل سيدي عبد الله سراج الدين رضي الله عنه ورحمه الله .

وأخص بالشكر أخي عبد الرحمن محمد جسري حفظه الله تعالى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ملحوظة: كل ما ورد بين معكوفتين فهو زيادة من المحقق .

تم في عصر /٢١ / ذي القعدة / ١٤٢٣ هـ .

في حلب الموافق / ٤ / كانون الثاني ٢٠٠٣ م

ترجمة المؤلف

الإمام الشعراني

اسمه ونسبه:

هو أبو المواهب، عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن ذوقا بن موسى بن أحمد ــ السلطان بمدينة تونس في عصر الشيخ أبي مدين ــ بن السلطان سعيد بن السلطان قاشين بن السلطان يحيى بن السلطان ذوقا، ينتهي نسبه إلى الإمام ــ محمد بن الحنفية ــ بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

مولده:

ولد الإمام الشعراني في دار جده لأمه بقرية قلقشندة من إقليم المنوفية بمصر، سنة ٨٩٨ هـ، ثم جيء به إلى قرية أبيه وهي ساقية أبي شعرة من قرى المنوفية أيضاً بعد ولادته بأربعين يوماً. وإليها نسبته: الشعراني، ويقال: الشعراوي كما ورد في بعض كتبه ومؤلفاته .

حياته:

قضى الإمام الشعراني طفولته في الريف، حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين ومتون بعض الكتب، وكان مواظباً على الصلوات الخمس في أوقاتها منذ أن بلغ الثامنة من عمره.

توفي والده وهو صغير، فكفله أخوه عبد القادر. انتقل إلى القاهرة سنة ٩١٠ هـ بعد وفاة والده بثلاثة أعوام ومعه أخوه العالم الفقيه الشيخ عبد القادر، وهو يدين لأخيه هذا بكثير من التوجيه والحب الصادق والرعاية

الكاملة، ويدين له فوق كل ذلك بالحضور إلى القاهرة، حيث تفتحت أمامه الآفاق، وعرف الدنيا وعرفته.

ثم انتقل إلى مسجد الغمري وأقام به سبع عشرة سنة يتعلم ويعلم، وحفظ فيه العلم وشرح الكتب.

وفي سنة ٩١٨ هـ تحول من جامع الغمري إلى مدرسة " أم خوند" ومن هذه المدرسة ذاع صيته لدى الخاص والعام.

وقد ذاق الإمام الشعراني الكثير من حسد أعدائه في حياته، يقول عن نفسه:

«قد ابتليت أنا كثيراً بهذا الباب مع حسادي، فكل قليل يحرفون عني مسائل لم أقل بها ثَمَّ قطٌّ، ثم يكتبون بها سؤالاً، ويستفتون عنها العلماء فيفتونهم بحسب السؤال، ثم يدورون بخطوط العلماء على الناس فيحصل لي من ذلك أجوراً لا تحصى من كثرة الوقع في عرضي بغير حق، فلو أني كنت مؤاخذاً أحداً من هذه الأمة لما رضيت يوم القيامة بأعمال الواحد منهم طول عمره، من غيبة واحدة، وما أحد من المستفتين عليه اجتمع بي طول عمره، ولا بلغه ذلك عني ببينة عادلة، ولو أنهم كانوا يقصدون الخير لاجتمعوا بي وأخذوا مني الجواب، فإما أن أتبرأ من ذلك الكلام فلا يجوز نسبته إليَّ بعد ذلك، وإما أن أرد تحريفهم ليتبين مرادي على الوجه الشرعي، لكن العدو ما قصده إلا الأذى، ويخاف أن أجيب عن نفسي فلا يروج له أمر مما افتراه عليَّ فالله يغفر له».

ولعلنا نتساءل لما كل هذه الحرب التي تعلن على الشعراني ؟

والجواب: أن الشعراني حارب المجاذيب والبهاليل والدراويش وكانوا في هذا العصر هم أصحاب الجاه والسطوة والنفوذ، وحاور الفقهاء

المتزمتين، والعلماء الجامدين الذين عكفوا على آراء وكتب أغرمت بالافتراض وأولعت بالجدل والحوار، واغرمت بكل غريب وشاذ. وحارب الجهل والادعاء في الفقه.

الفقه الذي هو لبُّ الشريعة الإسلامية ــ الشريعة الإسلامية التي ابتعثت البدو الأميين في صحاريهم ليكونوا هداة عالمين من ساحات العلم والحضارة وما إلى العلم والحضارة. وقواداً فاتحين في ميادين الحرب والجهاد وما إلى الحرب والجهاد قد تحول في مصر في أواخر عهد المماليك والعثمانيين، أو حوله الأدعياء إلى مجموعة ضخمة هائلة من الغموض والإيهام والتحلل من الأخلاق والتمرد على الآداب.

ونزل الإمام الشعراني في ميدان الحياة منادياً باتباع الكتاب والسنة اتباعهما قولاً وفعلاً منهجاً وسلوكاً. وجاهر ببطلان كل ما يخالف ذلك. فتحركت الطوائف المخالفة لمنازلته ومناهضته ونفس عليه بعض معاصريه، فنالوا منه واتهموه بالمروق عن الدين والخروج على رأي الجماعة ــ وهو بريء عن كل ذلك ــ

وقد لحظ الإمام الشعراني وشاهد تهافت العلماء على حكام البلاد، ورأى إسفافهم في طلب الدنيا وتكالبهم عليها. الأمر الذي جعل الحكام والولاة يستهترون بهم ولا يذعنون لكلامهم. فإن طلبوا أن يعطوهم مما في أيديهم لبوا طلبهم مرة ورفضوا طلبهم مرات. . . .

لماذا؟ لأن هؤلاء الأدعياء انكشفوا أمام الحكام الظلمة، وكل منهم تعرى أمام الآخر. فالحكام يعترفون أنهم ظلمة، وأموالهم حرام تؤخذ من أيدي الفقراء من الفلاحين والعمال غصباً وقسراً، وهم يعلمون أيضاً بنوايا هؤلاء

الأدعياء. فليس الدين مطلبهم ولا نصح الحكام طريقتهم، وليست الآخرة هدفهم وإلا لعملوا لها، ولكنهم يطلبون الدنيا فتفرَّ منهم.

يقول الإمام الشعراني: "سمعت جماعة الوزير علي باشا يقولون: قد سئمت أنفسنا من كثرة ما يسألنا هؤلاء المشايخ ونعطيهم من العدس والعسل والفلوس. ثم إنهم ليقولون عنا: إننا ظلمة فلأي شيء يأخذون منا.. ؟ ولو أن مثل هؤلاء شموا رائحة الطريق لتعففوا عما في أيدي الخلائق فكانوا يعظمون في عيونهم".

أيترك الإمام الشعراني هؤلاء الأدعياء يشوهون وجه العلماء.. ؟ أيتركهم يدعون ــ بالباطل ــ أنهم حملة الشريعة وأتباع محمد بن عبد الله ﷺ..؟ أيكون هؤلاء الأدعياء حاملين شريعة الرسول ﷺ؟ الرسول الذي عرضت عليه جبال الذهب والفضة فرفضها. وقال: أجوع يوماً وأشبع يوماً حتى ألحق بإخواني أولي العزم من الرسل.. أهؤلاء الأدعياء خلفاء سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، والإمام مالك، وأبي حنيفة، وابن شريك، وطاووس اليماني، وأمثالهم كابن تيمية، وعزالدين بن عبد السلام، والإمام الشاذلي وغيرهم وغيرهم... الجواب لا.. ؟

ويلجأ الإمام " المربي الشعراني " إلى الرمز، ويسوق إلى هؤلاء الأدعياء النصح على لسان الطيور مرة، ولسان الحيوانات أخرى علهم يرتدون عن غيهم، أو يفهمون حقيقة وضعهم. أو يتركون ما هم سائرون فيه من غي وضلال.

يقول الإمام الشعراني في نصحه لهؤلاء الأدعياء:

"إن كلب السوق تناظر مع كلب الصيد، فقال كلب السوق لكلب الصيد: مالكَ لا ترضى بالكسر التي على المزابل مثلي، وتجتنب الملوك والأمراء وأبناء الدنيا ؟

فقال كلب الصيد لكلب السوق: أنا وإن خالطت الملوك وغيرهم، فأنا متعفف عما في أيديهم، ولا آكل منهم شيئاً وأصطاد لهم لا لنفسي، ولذلك عظموني وأكرموني وقربوني وأجلسوني على فراشهم، ولم ينظروا إلى خساستي حين رأوا شرف همتي، وأنت لما كنت كثير الشره والحرص على ما بأيديهم ولا تصطاد إلا لنفسك طردك الخلق على المزابل".

ومن هنا كان الإمام الشعراني يصدح بكلمة الحق في وجوه الحكام والولاة، فلا يستطيعون أن يعارضوه، وينِدد بأفعالهم فلا يقدرون على أن يغضبوه؛ لأنه زهد عما في أيديهم، ورغب فيما عند الله فأعطاه الله القوة عليهم وأرعبهم منه.

وقد تمسك الإمام الشعراني بقضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورغب فيها مستدلاً على ذلك بأن حملة الشريعة من السلف الصالح لم يقولوا:

"عليكم بخويصة أنفسكم" بل جابهوا الطغيان وصدعوا بكلمة الحق، وقدموا أرواحهم قرباناً من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى مدار التاريخ والزمن كان العلماء دائماً يؤدون واجبهم.

وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليسا مقيدين بزمان، ولا محددين بوقت، بل هذا واجب على كل فرد في الدولة الإسلامية بعامة؛ لقوله تعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] . وعلى العلماء بخاصة؛ لقوله تعالى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].